إجازة الأبوة لم تكسر الصورة النمطية لدور الأم في رعاية أطفالها

التربية الذكورية تحد من تحقيق المساواة في الأدوار بين الوالدين

كان المجتمع حتى سبعينات القرن الماضي يلقي مسؤولية الاهتمام بالطفل ودعمه نفسيا وعاطفيا على عاتق الأم، أما الأب، فإن دوره يقتصر على دعم الأسرة في الجوانب المالية. كما لم يحظ دور الآباء في تربية الأطفال إلا بالنزر القليل من الدراسة والاهتمام.

ومع التحولات التي عاشتها الأسر العربية خلال العقود الأخيرة، تقلصت الثنائية التي كانت تفصل الأدوار الرجالية عن الأدوار النسائيّة، وتغيرت نظرة المجتمع إلى العملية التربوية ما رسم ملامح جديدة لصورة الوالد في علاقته مع أفراد أسرته، ونال الأب تدريجيا بعض الحقوق، ومنها الاعتراف بحقه في إجازة الأبوة التي اعتمدتها أغلب الدول العربية أسوة بالدول الأوروبية. إلا أن تلك الحقوق لم تضمن المساواة في الأدوار بين المرأة والرجل فيما يتعلق برعاية الأطفال والاهتمام بهم.

الاهتمام بالطفل مسؤولية تلقى على عاتق الأم وحدها

راضية القيزاني
كاتبة تونسية

سعى المشرعون في عدد من الدول العربية إلى محاولة التمديد في إجازة الأبوة حتى لا تتحمل الأم وحدها أعباء كثيرة تفوق طاقتها نظرا لغياب الأب أو انشغاله وذلك بهدف دعم العدالة والمساواة في تطبيق القوانين، والحرص على تعادل الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة.

ففي تونس، اقترح مشروع القانون المتعلق بعطلتي الأمومة والأبوة في القطاعين العام والخاص والذي صادق عليه مجلس الوزراء يوم 8 مارس 2019، تمكين أحد الوالدين (الأم أو الأب) وبطلب منه من عطلة ما بعد الولادة أو بجزء منها بعد موافقة المؤجر لمدة أقصاها 4 أشهر مع الحصول على نصف الأجر.

وقالت مليكة الو رغي مديرة شؤون الأسرة بوزارة المرأة والطفولة وكبار السن لـ"العرب" إن "هذا المقترح تم تقديمه في إطار ضمان تكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة في تحمل مختلف المسؤوليات في جميع المجالات وتدعيم مشاركة الآباء في الحياة الأسرية". وأضافت أنه من المنتظر أن ينظر مجلس نواب الشعب في مشروع هذا القانون بعد أن تستوفي الحكومة مشاوراتها مع منظمة الأعراف بخصوصه، مشيرة إلى أن الرجل مسؤول عن تربية أطفاله تماما مثل أمهم وأن وجوده بجانبهم يقوي اللحمة داخل الأسرة وهو لب مقترح القانون.

وأشارت الورغي إلى أن مشروع عطلة الأمومة والأبوة في صورته هذه لن يكون مكلفا على الدولة مقارنة بعطلة المرض مؤكدة أنه سيجعل المجتمع متوازنا وسيجنب الدولة بناء مراكز جديدة للعناية بالأطفال.

وفي المغرب اتجهت الحكومة إلى اعتماد مشروع قانون يسعى إلى إقرار إجازة أبوّة مدفوعة الأجر تصل إلى شهر كامل للآباء الجدد، بعد مساع برلمانية للتمديد في الإجازة التي لا تتجاوز الـ3 أيام.

أما في السعودية فقد وافقت الدولة رسميا على منح إجازة أبوة للموظفين والعاملين في مختلف الوزارات والقطاع العام، بعد قدوم أبناء جدد لهم لمدة ثلاثة أيام، للاعتناء بالزوجة، ضمن مشروع قانون الخدمة المدنية الذي سيبدأ سريانه اعتباراً من أول أيام العام الجديد 2020.

لكن دخول الرجال مجال رعاية الأسرة رغم إقراره بموجب القانون، ما زال بعيداً كل البعد عن المساواة في الأدوار وفق ما يؤكده الملاحظون. ومازال بعض الرجال حبيسي نظرة بالية توكل للأم وحدها مسؤولية رعاية الأطفال منذ نعومة أظفارهم حتى اشتداد عودهم، ما يجعل مسألة المساواة بين النساء والرجال في الأدوار في حاجة إلى إعادة فهم والى تغيير عام على مستوى الذهنية والمنظومة والقوانين في ذات الوقت.

> دخول الرجال مجال رعاية الأسرة رغم إقراره بموجب القانون، ما زال بعيداً كل البعد عن المساواة في الأدوار

تقول رانية بن حديدة موظفة بالقطاع الخاص "رغم أن زوجي حصل على إجازة الأبوة، إلا أن ذلك لم يعد بالنفع على الأسرة، فزوجي لا يحسن رعاية طفله وخاصة في فترات الليل".

وتضيف "زوجي ترك لي غرفة النوم بحجة أنه يسعى إلى راحتي لكن في حقيقة الأمر هو لا يستطيع تحمل بكاء الطفل ولا نور الغرفة المضاء طوال الليل. هذا إضافة إلى أنه لا يمكن الاعتماد عليه في إحضار حليب الطفل أو إسكاته، وأمي هي من تساعدني بحكم خبرتها في هذه الأمور". وتردف "بحكم أن زوجي هو الرجل الوحيد في عائلته لم يتعود على المساعدة في القيام بالأعمال المنزلية وهذا ما ضاعف من مهمتي حيث أصبحت أعتني بطفلي وزوجي معا". من جهتها تؤكد وفاء البوغانمي أهمية حصول زوجها على عطلة الأبوة وخاصة على مستوى الجانب النفسي فرغم أنه لا يمكن الاعتماد عليه في تغيير حفاضات الرضيع أو ملابسه لكن وجوده المعنوي مهم في فترة ما بعد الولادة.

وتقول وفاء "من الصعب على الرجل أن يتحمل أعباء الاهتمام بطفل صغير لم يتجاوز عمره الأسبوع. فهو لا يقدر على حمله أو تهدئته عندما يدخل في نوبة من البكاء، لكن مجرد حضوره بجانبي يشعرني أنني لست وحيدة".

بدورها تؤكد الدكتورة ناهد المصري أخصائية علم النفس أن أهمية تواجد الرجل إلى جانب زوجته وطفله لا يقاس بعدد الأيام بل بنوعية الدور الذي يلعبه"، مشيرة إلى أن الرجل في مجتمعنا لا يستطيع الاضطلاع بهذا الدور لأكثر من 3 أيام إلا في حال كان عاطفياً جداً لكونه رجلا شرقيا وغير متمكن نفسيا وثقافيا للعب مثل هذه الأدوار فيتحول بالتالي إلى عبء على المرأة.

من جهته أكد أستاذ علم الاجتماع الطيب الطويلي لـ"العرب" أن الأب لا يزيد دوره عن إعداد الوثائق الإدارية للمولود الجديد أو اقتناء بعض الحاجيات للام والرضيع، مشيرا إلى أن الأم هي من تقوم بكل المهام خلال الشهرين الأولين بعد الولادة وهو أمر طبيعي حسب رأيه نظرا لارتباط الطفل بها فيسيولوجيا.

كما تؤكد الدكتورة سامية خضر، أستاذة علم الاجتماع في جامعة عين شمس، أن الغالبية العظمى من الأزواج يتنصلون بشتى الطرق من أدوارهم في مساعدة زوجاتهم وذلك نتيجة تربية ذكورية فرضتها العادات والتقاليد على المجتمع، ومفادها أن الرجل تلبى طلباته من جانب جميع النساء كأمه وأخته وزوجته.

وأشارت خضر إلى أن مساعدة الرجل لزوجته تكون نتاج تربيته على التعاون والمشاركة.

وتقول "أؤكد أننا كنساء نخطئ في حق أنفسنا وفي حق غيرنا من النساء، عندما نربي الولد على أنه خُلق لتلبى طلباته لكونه ذكراً فقط، وهذا مغاير لأساليب التربية الحديثة، التي تشدد على ضرورة المساواة بين الولد والبنت في التربية والمهام المنزلية، فيكبر الرجل على تحمل المسؤولية".

وتردف "لكن العادات والتقاليد أنشأت رجالا يتنصلون من المسؤولية، وبالتالي يفشلون في حياتهم الأسرية".

وكما أن أبحاثا علمية أكدت أهمية وجود الأب إلى جانب الأم خلال فترة الحضانة الأولى، لكون ذلك يعزز الروابط الأسرية ويساهم في إدماجه في العملية التربوية، فيدخله إلى عالم الطفل ويقرّبه من زوجته، فعلم النفس يؤكد على النتائج الإيجابية لرعاية الآباء لأطفالهم مما يساهم في تقوية الروابط النفسية بينهم.

وقالت دراسة مطولة نشرت في دورية "تشايلد سايكولوجي آند سايكايتري" إن التفاعل الوجداني بين الأب والرضيع ينبئ بالنمو العقلي والنفسي السليمين للطفل، فكلما زاد تفاعل الآباء مع الرُضع وجدانيا قلّت فرص ظهور المشاكل السلوكية لدى الأطفال في المراحل اللاحقة من أعمارهم. وكلما زاد دعم الآباء للأطفال عاطفيا في الصغر زاد رضا الأطفال عن الحياة لاحقا، وتحسنت علاقتهم بمدرّسيهم وزملائهم.

وأوضحت أبحاث ميدانية أن مشاركة الأب الفعالة في تربية الطفل منذ الولادة، وقضائه وقتا أطول معه يعود بفوائد عديدة على صحة الطفل.

يقول بول رامتشاندايني، الذي يدرس دور اللعب في التعليم والتنمية والتربية بجامعة كامبريدج "إن اللعب هو لغة الطفولة، التي يستكشف بها الأطفال العالم، ويبنون بها علاقاتهم مع غيرهم من الأطفال" مشيرا إلى أن "التفاعل الإيجابي بين الأب وصغيره في الشهور الأولى يلعب دورا مهما في نمو الطفل وتعزيز قدراته الذهنية".

هل ما زالت المدرسة مهمة

لمياء المقدم
كاتبة تونسية

الحياة دروس مستمرة، وفي ظني أنها لن تتوقف أبدا عن تعليمنا أشياء جديدة حتى لحظة مماتنا. المهم أن ننفتح على دروسها، نستوعبها، ونتقن استغلالها جيدا.

نعلم أبناءنا الكثير، لكننا نتعلم منهم أيضا. طوال حياتي اعتقدت أن المدرسة، النتائج والأداء، أهم شيء في حياة الطفل. ربما بسبب التربية التي تربينا عليها والمكانة التي كان يوليها آباؤنا للتعليم في مجتمع ينهض من تبعية الاستعمار والفقر والتهميش.

المدرسة كانت المنقذ الوحيد من كل ذلك، وفرصة الفقير والمهمش في أن يتساوى ابنه بابن الثريّ والوجيه. أراد آباؤنا أن نصبح أطباء ومهندسين وصحافيين ومدراء لنسحبهم معنا من بؤرة الفقر ونشدهم إلى أعلى ونحسّن من وضعهم الاجتماعي ومكانتهم بين الناس. علّقوا آمالا على ذلك، صرفوا كل ما لديهم، ضحّوا وسهروا وباعوا ممتلكاتهم ومصاغهم من أجل هذا الهدف السامي. المدرسة، المدرسة ولا شيء غيرها، هي المنقذ وهي المستقبل وهي الرفاهية وهي المكانة الاجتماعية المرموقة، وهي الأسرة المرفهة، وهي الوجاهة... إلى آخر القائمة الطويلة.

أما نحن الأبناء فقد كنا نشبه الجنود المقاتلين في معركة حياة أو موت. نصحو باكرًا، نقطع المسافات الطويلة في البرد والثلج والجبال، أحيانا بملابس خفيفة وبأحذية لا تكاد تردّ عنا أذى البرد وأحراش الطريق، نسهر الليل للمطالعة ومراجعة الدروس على ضوء الشموع والفوانيس، ننحني على الأرض أو على موائد واطئة نقرأ في كتب مهترئة حتى تقوست ظهورنا من شدة التركيز. كنا نعرف جيدا الآمال المعلقة على رقابنا، ونعي حجم المسؤولية التي أوكلت لنا وكنا نرزح تحتها من دون رحمة. لم نكن بصدد تحقيق أحلامنا فقط، بل أحلام جيل كامل من الآباء والأمهات الذين لم تسمح لهم ظروف الاستعمار والفقر من متابعة تعليمهم.

كانت المدرسة شيئا مقدسًا، عظيمًا، نبيلًا تكتب فيه الأشعار ويتغنى به المغنون.

واليوم؟ هل مازالت المدرسة بنفس القداسة التي كانت عليها؟

لا شك أن التعليم والمعرفة قيمتان لا يعلى عليهما في كل الأزمنة والعصور وتحت أيّ ظروف، لكن المجتمعات تغيرت، والاحتياجات كذلك، ولم تعد المعرفة مقصورة على المدارس فقط، بل إن نسبة المعرفة المتحصل عليها من المدارس لا تتجاوز الـ2 بالمئة من مجمل المعارف التي يتلقاها الطفل في صغره. الباقي تتكفل به الأسرة، المجتمع، الأصدقاء الأنشطة والألعاب.

منذ سنة تقريبا، دخلت في تجربة فريدة، أو لنقل هو درس جديد من دروس الحياة الكثيرة. ابني الصغير لا يحب المدرسة! يعتبر هذا كارثة حقيقية بالنسبة إلى أمّ تربّت على قداسة المدرسة، يتبعها الكثير من القلق والفزع والتخبط.

> ليس من حق المدرسة أن تجعلنا تعساء رغم أهميتها وليس من حق أيّ شيء في هذا الكون أن يحرم طفلا من لحظات اللهو والمرح

ولأننا تربينا على القتال فإن أول ردة فعل هي الاستماتة من أجل تحسين الأداء، وتحصيل أعداد مقبولة. بعد جهد عام كامل أرهق الجميع: الطفل والمدرسة والبيت. صحيح أننا تجاوزنا الأزمة وانتقلنا إلى الصف الموالي، لكن هل هذا المقابل معادل موضوعي للخسارات النفسية والجسدية والقلق والتوتر والمشاحنات التي تسبب فيها على مدى عام كامل؟

جلسات الإرشاد والمختصون يقولون لنا "لا، السعادة قبل كل شيء". ليس من حق المدرسة أن تجعلنا تعساء رغم أهميتها وليس من حق أيّ شيء في هذا الكون أن يحرم طفلا من لحظات اللهو والمرح والاسترخاء أيّا كانت قيمته، أو يربك أسرة بكاملها ويستنزف طاقتها.

كان صعبا أن أستوعب شيئا كهذا، أنا التي لم أعرف سعادة إلا سعادة النجاح ولم أتربّى إلا على تقديس المدرسة والتضحية بكل شيء من أجلها، لكنني تقبلته. وبدلًا من المعافرة في مدرسة للمتفوقين رضيت بالذهاب إلى مدرسة عادية، المجهود فيها أقل وفسحات المرح واللعب أكثر.

خطوة إلى الخلف من أجل خطوات إلى الأمام. والآن أرى أمامي طفلا أقل قلقا وأكثر استمتاعا بالحياة.

الفشل في المدرسة لا يعني نهاية العالم في مجتمع تتوفر فيه البدائل، ويحترم الفروق والتفاوت بين البشر. الكل يحظى بفرص متقاربة وعادلة، ومن لا يملك طاقة ورغبة لمواصلة الدراسة، لا بد أنه يتوفر على قيمة أخرى في جانب ما. المهندس والطبيب والمدير ليسوا أفضل حالًا ولا أكثر مالا ولا أرقى مكانة من خباز أو نجار أو حداد ناجح يتقن مهنته. جميعهم سواسية في عين المجتمع الذي يحتاجهم كلهم بنفس القدر.

المعرفة لم تعد مقتصرة على المدارس فقط

ديكور

غرف الأطفال تزهو بألوان الباستيل

أفادت مجلة "إن ستايل" الألمانية بأن ألوان الباستيل تغزو غرف الأطفال حاليا، حيث تزهو الغرف على سبيل المثال باللون الأخضر النعناعي والوردي.

وأوضحت المجلة المعنية بالموضة والجمال أن ألوان الباستيل الحالمة تتمتع بطابع هادئ يساعد على المذاكرة والتمتع بنوم هانئ، مشيرة إلى إمكانية تنسيق ألوان الباستيل مع بعضها البعض، كما أنها تتناغم مع الرمادي الفاتح.

ومن الممكن أيضا أن تتألق الستائر والسجاد والديكورات الأخرى بألوان قوية.